

أصول التفسير وقواعده عند الإمام النورسي

رضوان جمال يوسف الأطرش*

* قسم دراسات القرآن والسنة – كلية عبد الحميد
أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية –
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

* Department of Quran and Sunnah
Studies - Abdul Hamid Abu
Sulaiman College of Revelation
Knowledge and Human Sciences -
International Islamic University
Malaysia

E-mail:

taallaam@gmail.com

Orcid:

<https://orcid.org/0000-0003-4603-4997>

Received: April 28, 2023

Accepted: July 20, 2023

Published: July 31, 2023

Citation:

Elatrash, Radwan “*Fundamental concepts of Exegesis in the view of Imam Nursi*”, Istanbul, The Journal of Risale-i Nur Studies 6:1(2023) 21-36

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى إبراز جملة من أصول التفسير التي استخدمها النورسي في كتابه إشارات الإعجاز ومن بعد في كتابه رسائل النور. وعلى الرغم من أن النورسي لم يوضح منهجه التفسيري بشكل واضح في كتاب إشارات الإعجاز إلا أنه ينظر إليه على أنه عملية متشعبة الجوانب، لأنه لم يؤلف تفسيراً قرآنياً متكامل الوجوه. لكنه استطاع أن يبدع من خلال جعل النظم كأصل ترتكز عليه باقي الأصول والقواعد في العملية التفسيرية لآيات القرآن الكريم. وبالتالي فإن هذا البحث يعتمد في دراسته لمنهج النورسي على منهجي الاستقراء والتحليل للوصول إلى حكم أداء النورسي التفسيري بأنه أداء متميز ابتكاري، حيث تراه يثير قضية لم تخطر على خلد أحد من قبل من الذين كتبوا في أصول التفسير.

الكلمات المفتاحية: أصول، التفسير، النورسي، رسائل النور، القرآن

Fundamental concepts of Exegesis in the view of Imam Nursi

Abstract

The purpose of this research is to highlight a number of the sources of interpretation used by Nursi in his book Signs of Miracles, and his Risale-i Nur. Although Nursi views exegesis as a multifaceted process and does not produce a full-fledged Qur'anic interpretation, he was able to create by making coherence as an asset and fundamental which the rest of the rules of tafsir are based on it. This research depends on the methods of induction and analysis in order to reach the judgment on Nursi's performance as an innovative ability of performing.

Keywords: Fundamental concepts, Exegesis, Nursi, Risale-i Nur, The Holy Qur'an.

المقدمة

على الرغم من قلة وجود كلمة تفسير في رسائل النور إلا ما ندر، لكن سعيد النورسي رحمه الله نظر إلى القرآن الكريم على كونه جامعاً لأشتات العلوم وخطبةً لعامة الطبقات في كل الأعصار، لا يتحصّل له تفسير لائق من فهم الفرد الذي قلما يخلُص من التعصب لمسلكه ومشرّبه. وعليه فهو يطالب رحمه الله بوجود هيئة عالية من العلماء المحققين الذين - بمظهرهم لأمنية العموم واعتماد الجمهور - يتقلدون كفالة ضمنية للأمة، فيصرون مظهر سرّ حجّية الإجماع الذي لا تصير نتيجة الاجتهاد شرعاً ودستوراً إلا بتصديقه وسكّته؛ (النورسي، 20:20) كذلك لا بد لكشف معاني القرآن وجمع المحاسن المتفرقة في التفاسير وتثبيت حقائقه - المتجلية بكشف الفن والعلم الحديث وتمخيض الزمان - من انتهاز هيئة عالية من العلماء المتخصصين، المختلفين في وجوه الاختصاص، ولهم مع دقة نظر وسُعة فكر ونور الاجتهاد وضياء الولاية لتفسيره (النورسي، 20:20) وعليه فإن مفسر القرآن في نظر الشيخ النورسي له مواصفات خاصة، منها: أن يكون ذا دهاء عال واجتهاد نافذ وولاية كاملة. وما هو الآن إلا الشخص المعنوي المتولد من امتزاج الارواح وتساندها وتلاحق الافكار وتعاونها وتظافر القلوب وإخلاصها وصميميتها، من بين تلك الهيئة. فبسرّ لكل حكمٍ ليس لكلٍ كثيراً ما يُرى أثارُ الاجتهاد وخاصةً الولاية، ونورُه وضيأؤه، من جماعة خلّت منها أفرادها. (النورسي، 20:20)

ومهما يكن من أمر، فإن الإمام النورسي يطالب بوجود هيئة من العلماء المحققين الذين يتقلدون كفالة ضمنية للأمة ويكشفون معاني القرآن ويجمعون المحاسن المتفرقة في التفاسير. يرى أن مفسر القرآن يجب أن يكون ذا دهاء عال واجتهاد نافذ وولاية كاملة. ويشير إلى أن الشخص المعنوي المتولد من امتزاج الارواح وتساندها وتلاحق الافكار وتعاونها وتظافر القلوب وإخلاصها وصميميتها هو مفسر القرآن الحقيقي، من بين تلك الهيئة. ويمكن تلخيص مطالب الإمام النورسي في الآتي:

1. يطالب النورسي بوجود هيئة عالية من العلماء المحققين كفالة ضمنية للأمة.
2. يعتبر الإجماع مظهر سرّ حجّية الإجماع الذي يتم بتصديقه وسكّته.
3. يؤمن بأهمية كشف معاني القرآن وتثبيت يتطلب وجود هيئة عالية من العلماء المتخصصين.
4. يرى النورسي أن مفسر القرآن يجب أن يكون ذا دهاء عال واجتهاد نافذ وولاية كاملة.
5. يرى أن الشخص المعنوي يتولد من تعاون الأفراد وتلاحق الأفكار والصميمية والإخلاص هو الذي يتحقق فيه الولاية، وهو الذي يمتلك هذه المواصفات.
6. يوضح النورسي مواصفات مفسر القرآن ويشير إلى أن الشخص المعنوي المتولد من تعاون الأفراد والإخلاص والصميمية هو الذي يمتلك هذه المواصفات.
7. يعتبر النورسي أن النور والضياء لا يرى آثارهما إلا في جماعة ووجود هيئة عالية من العلماء المتخصصين تتمتع بالولاية والتعاون.

كما أنه اعتبر تفسيره حكمة ومغزى وغرض ومقصد سامق سامٍ، ولهذا استخدم حكمة القرآن الكريم، وحكم على معارضتها بالسقوط، وجاء بأمثلة تثبت ما قاله رحمه الله. ثم يعقد مقارنة منهجية رائعة في نظرة الناس إلى الدنيا في مقابل نظرة القرآن الحكيم إلى الدنيا. فالناس تنظر إلى الدنيا على أنها ثابتة دائمة، وذلك من خلال ذكر ماهيات الموجودات والتعلق بخواصها وذكرها بشكل فيه إسهاب وإطناب، وهذا يعني أنها تفصل في العالم الخارجي لهذه الموجودات ونقوشها في حين إنها لا تعبر اهتماماً لمعنى ومغزى تلك الموجودات. على العكس من ذلك ينظر القرآن إلى الدنيا على أنها: مجرد خلق عابر سيّال، خداع سيّار متقلب من غير أن يكون له قرار ولا ثبات، فتراه على عكس الإنسان يذكر خواص الموجودات بشكل مجمل ومقتضب، بينما يأتي بتفصيل فيه إسهاب وإطناب في بيان وظائف تلك الموجودات التعبدية لخالقها الجليل، وكيف أنها تنقاد لأوامر الصانع الحكيم التكوينية الإلهية (النورسي، 2018:430) والإطناب كما عرفه الفراهيدي: هو البلاغة في المنطق في مدح أو ذم (الفراهيدي، 1997:438)

إن هذا التفسير القيم بين دفتيه نكاتٍ بلاغية دقيقة، قد لا يفهمها كثير من القراء، ولا يعيرون لها اهتمامهم، ولا سيما ما جاء ضمن الآيتين اللتين تصفان حال الكفار والآيات الإثنتي عشرة الخاصة بالمنافقين. إن ذكر نكات دقيقة في تلك الآيات والاقتصار على بيان دقائق دلالات ألفاظها وبدائع إشاراتها باهتمام بالغ، من دون تفصيل لماهية الكفر، مع تطرق يسير إلى الشبهات التي يلتزمها المنافقون - خلافاً لما جرى في سائر الآيات من تحقيق وتفصيل - أقول إن سبب ذلك كله نلخصه في نكات ثلاث:

بعد النظر الجملي لما فسره النورسي للقرآن الكريم هناك قسمان:

المواضع التي تشتمل على تفسير خالص، قصد فيها تفسير سورة أو آيات، ولم يخالط كلامه في التفسير في هذه المواضع موضوعات أخرى، وهذه المواضع هي: كتاب إشارات الإعجاز وتفسير سورة الفاتحة. (النورسي، 2021:652) ففي تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: 2]، يتم النظر إلى الكون من خلال الألاء والنعم المغدقة على الأرض، بل غمرت الكون كله لدرجة أنها توصلك إلى ربك المنعم الجليل. ثم ينتقل من النظر إلى الكون إلى النظر إلى النفس، وبالذات إلى المعدة والحواس كلها، إذ أنه يرى أن النعم والأزاق واللذائذ والأذواق تطلب بأثمان الحمد والشكر (النورسي، 2021:790)

وحين فسر قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2]، ذهب ببصره ليشاهد ألوف العوالم والأكوان الصغيرة، بل ملايين منها، وأغلبها متداخل في بعضه، ورغم أن إدارة كل نوع منها متباينة، لكنها تدار في منتهى التربية والتدبير والإدارة، فالكون كله صحيفة مبسوطة أمام نظره جل وعلا في كل آن. فهناك شهادات كلية وجزئية وبعده الذرات وفي كل لحظة على وجوب وحدانية الله رب العالمين الذين يدير هذه الملايين من العوالم برؤية مطلقة ذات علم وحكمة لا نهاية لهما وذات عناية ورحمة وسعتا كل شيء. (النورسي، 2021:790)

تحديد المصطلحات الخاصة بالبحث:

القرآن الحكيم: تعريف القرآن الكريم عند النورسي: ليس كما عرفه علماء الدراسات القرآنية: هو الترجمة الإزلية لهذه الكائنات، والترجمانُ الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسرُ كتاب العالم.. وكذا هو كشافٌ لمخفيات كنوز الاسماء المستترة في صحائف السموات والارض.. وكذا هو مفتاحٌ لحقائق الشؤون المضتمرة في سطور الحادثات.. وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة.. وكذا هو خزينةٌ للمخاطبات الإزلية السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية.. وكذا هو أساسٌ وهندسةٌ وشمسٌ لهذا العالم المعنوي الاسلامي.. وكذا هو خريطةٌ للعالم الأخرى.. وكذا هو القولُ الشارح والتفسيرُ الواضح والبرهان القاطع والترجمان الساطع لذات الله، وصفاته واسمائه وشؤونه.. وكذا هو مرآةٌ للعالم الانساني، وكلماء وكالضيء للإنسانية الكبرى التي هي الاسلامية.. وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد المهدي الى ما خُلِقَ البشرُ له.. وكذا هو للإنسان: كما أنه كتابٌ شريعةٌ كذلك هو كتابٌ حكمةٌ، وكما أنه كتابٌ واحد لكن فيه كتبٌ كثيرةٌ في مقابلة جميع حاجات الانسان المعنوية، كذلك هو كمزمل مقدسٍ مشحون بالكتب والرسائل. حتى إنه قد أبرز لمُشْرَبٍ كلِّ واحدٍ من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كلِّ واحدٍ من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين ومن العرفاء والمحققين رسالةً لائقَةً لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره حتى كأنه مجموعة الرسائل (النورسي، 2012:355)

من جهة أخرى، يرى النور أن القرآن هو كلام الله المتعبد بتلاوته، وإنما ركز على الأمور العملية الناتجة عنه، وركز على هداياته التي تحتاجها البشرية. وقد سماه النورسي بدين محمد صلى الله عليه وسلم. (النورسي، 2018:225) ويرى أنه القرآن مقروء ومنظور، وهو ما سماه بالكون البديع، فالمقروء منه هو أعظم تفسير وأسماء، وهو أبلغ ترجمان وأعلاه لهذا الكون البديع (النورسي، 2018:140) وكلماته لا تحدها حدود، نزلت من الاسم الأعظم ومن أعظم مرتبة من مراتب كل اسم من الأسماء الحسنى، (النورسي، 2018:145) وهو كلام ذات الله الجليل البصير بالأزل والأبد معاً، (النورسي، 2018:240) وهو بحر الحقائق والمعجزة الكبرى (النورسي، 2018:80) الذي ثبت إعجازه بأربعين وجهًا من وجوه الإعجاز، (النورسي، 2018:320) والحق الذي يتلو آيات الكائنات في مسجد الكون الكبير (النورسي، 2018:28) وينصح برفق وأدب عظيم طلاب العلم بقوله: وإذا كنت تريد أن تفهم شيئاً من أن القرآن الكريم قد نزل من الاسم الأعظم فتدبر في آية الكرسي ومجموعة من الآيات ذكرها بعد ذلك (النورسي، 2018:150) ومن أقواله رحمه الله: أنه لا يمكن لكل أحد في كل وقت قراءة تمام القرآن الذي هو دواء وشفاء لكل أحد في كل وقت. فلماذا أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر سور، لا سيما الطويلة منها، حتى صارت كل سورة قرآناً صغيراً، فسهل السبيل كل أحد، دون أن يحرم أحداً، فكرر التوحيد والحشر وقصة موسى عليه السلام. (النورسي، 2018:290)

ويرى أن القرآن لها خمس جهات: الأولى: من ورائه العرش الأعظم، يستند إليه، فهناك نور الوحي. والثانية: من فوقه تتلأأ آية الإعجاز وتسطع طغراؤه. والثالثة: من تحته أعمدة البراهين الرصينة والدلائل الدامغة، ففيها الهداية

المحضة. والرابعة: عن يمينه يقف استنطاق العقول وتصديقها، لكثرة ما فيه: أفلا يعقلون. والخامسة: عن يساره استشهد الوجدان حتى ينطق من إعجابه: تبارك الله بما ينفع من نفحات روحية للقلب. (النورسي، 2013:250)
تعريف الأصول لغة واصطلاحاً:

التفسير لغة واصطلاحاً: اختلف علماء اللغة في مرجع كلمة التفسير إلى رأيين: الرأي الأول: هو تفعيل من "الْقَسْرُ" بمعنى البيان والكشف، وفسر الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم فسراً وفسره وفسرته أبانه ووضحه، وفسر القول إذا كشف المراد عن اللفظ المشكل. (الرويفي، 2001:283) الرأي الثاني: هو مقلوب من "سَفَر" بمعنى كشف، يقال: سَفَرَت المرأةُ سفوراً إذا أَلَقَتْ خِمَارَهَا عن وجهها وهي سافرة، وأسفر الصبح أضواء وأشرق"، (الزركشي، 1957:147) ولهذا سمي السير سفراً لأنه يسفر أي يظهر أخلاق الرجال. (الأنباري، 1992:247) وهذا القول الثاني، اعترض عليه بعض العلماء أن يكون مرجع الكلمة إليه، لأن الأصل أن تكون اللفظة ترتيبها، ودعوى القلب خلاف الأصل الذي وردت عليه، قال الألوسي رحمه الله: "والقول بأنه مقلوب السفر مما لا يسفر له وجه"، (الألوسي، 1415:5) والصحيح أنهما لفظان متغايران لمعنيين متقاربين.

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله "الْقَسْرُ" و "السَّفْرُ" يتقارب معناهما كتقارب لفظهما لكن جُعِلَ الفِسْرُ لإظهار المعنى المعقول، (الأصفهاني، 1412:636) وجعل السَّفْرُ لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح، وسفر العمامة عن الرأس، وسَفَرُ البيت كنهه بالسَّفْرِ أي المكنس، نحو قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ﴾ [المدثر: 34] (الأصفهاني، 1412:412)

هناك كثير من الأصول التفسيرية التي اعتمدها الإمامبديع الزمان سعييد النورسي، لكن هناك اختيارات لبعض الأصول المهمة، ومنها:

الأصل الأول: البلاغة سر لكشف المعاني القرآنية: يرى الإمام النورسي أن البلاغة المعجزة نبعث من جزالة نظم القرآن وحسن متانته، ومن بداعة أساليبه وغرابتها وجودتها، ومن براعة بيانه وتفوقه وصفوته، ومن قوة معانيه وصدقها، ومن فصاحة ألفاظه وسلاستها (النورسي، 2018:420) ولهذا لا يمكن تجاهل البلاغة كأصل من أصول تدبر القرآن وفهمه وتفسيره. وبالتالي فإن البلاغة في نظر النورسي هو بلاغة خارقة تحدى بها القرآن الكريم، منذ ألف وأربع مئة سنة أذكى بلغاء بني آدم وأبرع خطبائهم وأعظم علمائهم، فما عارضوه، وما حاروا ببنت شفة، مع شدة تحديه إياهم، بل خضعت رقايبهم بذل، ونكسوا رؤوسهم بهوان. مع أن بلغائهم من يناطح السحاب بغروره. (النورسي، 2018:420)

فحينما نتحدث عن البلاغة نقصد بها ما قاله الجرجاني: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، (الجرجاني، 1983:46) وضدها العي. (دريد الأزدي، 1987:158) والبلاغة لغة هي الوصول إلى الشيء، ودليل ذلك قوله تعالى:

﴿إِذَا بَلَغَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: 2]. يقول الرازي رحمه الله: والمراد من بلوغ الأجل هنا مقارنة البلوغ، (الرازي، 1420:561) أي الوصول إلى عمر البلوغ. وعند الجرجاني البلاغة: هي تنبؤ عن الوصول والانتهاء، يوصف بها الكلام والمتكلم فقط، دون المفرد. يقول الإمام النورسي رحمه الله: إن منشأ نقوش البلاغة إنما هو نظم المعاني دون نظم اللفظ كما جرى عليه اللفظيون المتصنفون، وصار حب اللفظ فيهم مرضاً مزمناً إلى أن رد عليهم عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وحصر على المناظرة معهم أكثر من مئة صحيفة. (النورسي، 2010:118) انظر إلى هذا النمط من البلاغة في جملة واحدة، فهو سبحانه وتعالى يريك في آية واحدة مثلاً نفوذ علمه في موضع الذرة في بؤبؤ العين وموقع الشمس في كبد السماء، وإحاطة قدرته التي تضع بالآلة الواحدة كلاً في مكانه، جاعلة من الشمس كأنها عين السماء فيعقب ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحديد: 6] بعد آيات ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4-6]. لأي يعقب نفوذ علمه سبحانه في خفايا الصدور بعد ذكره عظمة الخلق في السماوات والأرض وبسطها أمام الأنظار. فيقر في الأذهان أنه يعلم خواطر القلوب وخوافي شؤونها ضمن جلال خلاقته للسماوات والأرض وتدبير لشؤونها. فهذا التعقيب وهو عليم بذات الصدور لون من البيان يحول ذلك الأسلوب السهل الواضح الفطري القريب إلى أفهام العوام إلى إرشاد سام وتبليغ عام جذاب (النورسي، 2020:320)

وحين ندقق في منهج النورسي التفسيري نجده يعتمد على التفسير الإشاري في تجلية المعاني لهذه الآيات، فالتفسير الإشاري (Mystical Exegesis) أخذ مكانة في قلبه وعقله لا يدانها مكانة لغيره من المناهج. فهو لم يذهب إلى المعاني اللغوية للمفردات، مثل الحمد أو لفظ الجلالة الله أو رب، أو العالمين، بل إنه ينطلق ليرى الإلاء والنعم المغمورة في الكون والتي تطلب وتزداد بالحمد والشكر، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]. فهذه عبقرية نادرة، وفكر بكر، أقام لنفسه به صرحاً خاصاً، لا ينافس به أحد، وكأنه يهدف بذلك إنقاذ النعم من الدمار والعبث من خلال صيانتها بالحمد والشكر، وإنقاذ العقل المسلم بالاجتهاد والبعد عن التقليد. كما أنه لا يفسر القرآن بالقرآن والقرآن بالسنة والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين وما نظمته الشعراء، بل إنه يعتمد التأويل منهجاً عملاقاً يسير من خلاله من التفكير بالذرة إلى الأكوام العملاقة ليستدل بدوامها على عظمة رحمة الله التي وسعت كل شيء. يقول الخوارزمي: وجوه البلاغة ثلاثة:

المساواة وهي أن تكون الألفاظ كالقوالب للمعاني لا تفضلها ولا تقصر عنها.

والإشارة وهي أن تدل بلفظ قليل على معاني كثيرة. وهذا هو منهج النورسي في التعامل مع القرآن وآيه الحكيم. فهو يأتي من البلاغة أعلاها، وأحياناً يأتي بالسجع ليوصل القارئ للمعنى المراد. والإشباع وهو أن تدل على معنى واحد بألفاظ مترادفة. (الخوارزمي، 1420:100)

مثال على التفسير البلاغي: حين فسر قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]. قال: في الكاف نكتتان: النكتة الأولى: تضمن الخطاب بسر الالتفات للأوصاف الكمالية المذكورة، إذ ذكرها شيئاً فشيئاً يحرك الذهن ويبعده ويملأه شوقاً وبهزه للتوجه إلى الموصوف. (النورسي، 2010:30) قال الزمخشري: قلت: الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم. (الزمخشري، 1410:13)

النكتة الثانية: إن الخطاب يشير إلى وجوب ملاحظة المعاني في مذهب البلاغة ليكون المقروء كالمُنزَل، فينجر طبعاً وذوقاً إلى الخطاب. ف ﴿إِيَّاكَ﴾ يتضمن الامتثال بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله جبريل عليه السلام قائلاً: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (النورسي، 2010:30)

الأصل الثاني: القرآن يفسر بعضه بعضاً: على الرغم من عدم اتباع الإمام النورسي المنهج التحليلي في التفسير إلا أن الناظر في المواضيع التي تشمل على التفسير وغيره في رسائل النور يجد هناك تفسيراً مجملاً ثم يحصل استطراد بذكر أمور أخرى تجعل التفسير جزءاً يسيراً منها. فهو لم يقصد تفسير القرآن بشكل تحليلي على غرار الطبري وابن كثير والزمخشري وفخر الدين الرازي وغيرهم، حيث يسير أكثرهم في تفسير آية بعد أخرى إلى نهاية القرآن الحكيم. فمنهجه في كتاب إشارات الإعجاز يتلخص في تفسير القرآن بالقرآن، حيث كان يتناول المصحف بيده ويبدأ شرح الآيات دون أن يستند إلى مصدر آخر من مصادر التفسير. يؤتى بمثال من كتاب الإشارات. ومن الأمثلة التي استدلت بها ليثبت هذا الأمر ما قام به عند تفسيره للصرط المستقيم في سورة الفاتحة، يقول رحمه الله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7] يناسب: وهو هنا يستخدم علم المناسبات رحمه الله:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: 2] لأن النعمة قرينة الحمد...

و ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] لأن كمال التربية بترادف النعم.

و ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 3] لأن المنعم عليهم - أعني الأنبياء والشهداء والصالحين - رحمة للعالمين ومثال ظاهر للرحمة..

و ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4] لأن الدين هو النعمة الكاملة..

و ﴿نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 5] لأنهم الأئمة..

و ﴿نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] لأنهم الموفقون..

و ﴿هُدًى﴾ [الفاتحة: 6] لأنهم الأسوة بسر قوله: ﴿فِيهِدَاهُمْ أَفْتِدَةً﴾ [الأنعام: 90].

و ﴿صِرَاطَ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الفاتحة: 6] لظهور انحصار الطريق المستقيم في مسلكهم. هذا مثال لك فقس عليه. وفي لفظ ﴿صِرَاطَ﴾ إشارة إلى أن طريقهم مسلوكة محدودة الأطراف من سلكها لا يخرج عنها.

وفي لفظ ﴿الَّذِينَ﴾ [الفاحة: 7] بناء على أنه موصول، ومن شأن الموصول أن يكون معهوداً نَصَبَ العين للسامع - إشارة إلى علو شأنهم وتلاؤلهم في ظلمات البشر، كأنهم معهودون نصب العين لكل سامع وإن لم يتحرَّر ولم يطلب.. وفي جمعيته رمز إلى إمكان الاقتداء بهم وحقانية مسلكهم بسر التواتر إذ «يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»..

وفي صيغة ﴿أَنْعَمْتَ﴾ [الفاحة: 7] إشارة إلى وسيلة طلب النعمة.. وفي نسبتها شافع له كأنه يقول: يا إلهي! من شأنك الإنعامُ وقد أنعمت بفضلك، فأنعم عليّ وإن لم استحق.. وفي ﴿عَلَّمْتُمْ﴾ [الفاحة: 7] إشارة إلى شدة أعباء الرسالة وحمل التكليف، وإيماء إلى أنهم كالجبال العالية تتلقى شدائد المطر لإفاضة الصحارى. وما أجمل في ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاحة: 7] يفسره ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: 69] إذ القرآن يفسر بعضه بعضاً. (النورسي، 2010:32)

لكن منهجه في رسائله المئة والثلاثين تشير إلى عشق خاص للجمال القرآني المقروء والمسطور وجمال الكون المنظور وكأنه من خيرة خبراء الدنيا هندسة وتصميمًا. أما في إشارات الإعجاز فقد ظهرت بعض المعالم المنهجية للتعامل مع القرآن، فبعد أن يتحدث عن تفسير الآيات ينتقل بنفسه إلى موضوعات مختلفة تماماً، فهو لم ينطلق مثلاً بتفسير ألفاظ القرآن لغوياً أو نقلياً ليبيّن أسباب النزول وما ورد فيها من تفسير القرآن للقرآن ثم بسرد الأحاديث الواردة فيها أو بأقوال الصحابة أو التابعين، وإنما كان يشير إلى لمعاتها وإشاراتهما وقبساتها، وصدق في منهجه رحمه الله. الأصل الثالث: النظم جزء أصيل من عملية التفسير القرآني الصحيح: إن من معاني النظم تداعي الكلمات والتحام بعضها ببعض وتعاونها وتساندها للوقوف على مقصد التركيب؛ سواء في الآية أو في السورة أو في القرآن كله. والمدقق يجد أن النورسي رحمه الله قد اعتمد في تفسيره لآيات القرآن الحكيم على النظم بشكل مطرد. يقول رحمه الله: إن مقصدنا من هذه الإشارات (إشارات الإعجاز) تفسير جملة من رموز نظم القرآن؛ لأن الإعجاز يتجلى من نظمه. وما الإعجاز الزاهر الآن نقش النظم. (النورسي، 2010:24) فتراه يستخدم العبارة التالية: وجه النظم، ثم يأتي بأمثلة تشحن الذهن ويتحدث عن النظم من خلال ربط الآية بما قبلها وما بعدها، يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَغُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: 26]، اعلم! إن في هذه الآية أيضاً الوجوه الثلاثة النظامية، وأن مآل المجموع ينظر إلى سوابقه وإلى لواحقه وإلى مجموع القرآن الكريم. وأما نظمها بالنظر إلى لواحقها فاعلم! أن القرآن لما مثل بالذباب والعنكبوت وبحث عن النمل والنحل انتهاز الفرصة - للاعتراض - اليهود وأهل النفاق والشرك فتحمقوا وقالوا: أيتنزل الله تعالى مع عظمته إلى البحث عن هذه الأمور الخسيسة التي يستحي من بحثها أهل الكمال؟ فضرب القرآن بهذه الآية ضرباً على أفواههم. وأما نظمها بالقياس إلى سوابقها، فاعلم! أن القرآن لما أثبت النبوة بالإعجاز والإعجاز بالتحدي والتحدي بسكوتهم. (النورسي، 2010:203)

من جهة أخرى، يرى النورسي -رحمه الله- أن الجرجاني لم يكن مخترعاً لنظرية النظم الجديدة، التي يعتمد عليها الباحثون في دراسة البلاغة والنحو، حيث لفت الجاحظ والواسطي والباقلاني الانتباه إليها في كتبهم "نظم القرآن" و "إعجاز القرآن" على التوالي. إلا أن الجرجاني هو الذي قدم شرحاً نحوياً شاملاً لهذه النظرية، ووضعها بشكل متكامل، حيث ركز في نظامه على عدم فصل اللفظ عن المعنى، ولم يميز بين الشكل والمضمون. ووصف النظم بأنه تعليق الكلمة بعضها على بعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، حيث يضع المتحدث كلامه في الوضع الذي يقتضيه علم النحو، ويعمل على اتباع قواعده وأصوله ومناهجه دون الانحراف عنها.(النورسي، 2010:27)

ومن الأمثلة الرائعة على استخدامه النظم قوله: واعلم أن نظم نستعين مع نعيد كنظم الأجرة مع الخدمة، لأن العبادة حق الله على العبد، والإعانة إحسانه تعالى لعبده. وفي حصر إياك إشارة إلى أن هذه النسبة الشريفة التي هي العبادة والخدمة له تعالى يترفع العبد عن التذلل للأسباب والوسائط، بل تصير الوسائط خادمة له وهو لا يعرف إلا واحداً، فيتجلى حكم دائرة الاعتقاد والوجدان. ومن لم يكن خادماً له تعالى بحق يصير خادماً للأسباب ومتذلاً للوسائط. لكن يلزم على العبد وهو في دائرة الأسباب أن لا يهمل الأسباب بالمرة، لئلا يكون متمرداً في مقابلة النظام المودع بحكمته ومشيتته تعالى، لأن التوكل في تلك الدائرة عطالة. (النورسي، 2010:32) ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7] يقول رحمه الله: اعلم أن نظم درر القرآن ليس بخيط واحد، بل النظم - في كثيرٍ - نقوش تحصل من نسج خطوطٍ نسبٍ متفاوتة قُرباً وبعُدًا، ظهوراً وخفاء. لان أساس الإعجاز بعد الإيجاز هذا النقش. (النورسي، 2010:35)

ومقصد الإمام النورسي من الفكرة السابقة ما يلي:

1. أشاد بالعلاقة الخاصة بين الإيمان والعمل، ذلك أن الإيمان يحرر الإنسان من التذلل للأسباب والوسائط، ويتحول إلى خادم لله وحده.
2. إن استخدام الأسباب والوسائط كخدمة لله ضرورة لا بد منها لتقوية الإيمان، بينما تبقى العبادة حقاً خاصاً لله وحده.
3. إن الإمام النورسي رحمه الله يخاطب المؤمنين ويحذرهم من مسألة التفريط في استخدام الأسباب والوسائط، وألا يجوز له أن يتركها بالكامل، لأن الاعتماد الكلي على الله دون استخدام الأسباب يمكن أن يكون تقصيراً. ويجب أن يتم استخدام منهج التوازن بين الاعتماد على الله واستخدام الأسباب بحكمة واعتدال.
4. يتحدث النورسي رحمه الله عن مسألة بناء الشخصية المؤمنة القوية، في مقابل بناء شخصية هزيلة متذلة للأسباب والوسائط، فهو في حالة تذكير دائم بأن العبد إذا خضع لله فإنه يتحول إلى خادم لله وحده، نتيجة لذلك فإن العالم يصبح خادماً له، ويتحول إلى شخصية مؤثرة ومبدعة ويحقق أهدافه ومقاصده في الحياة، بينما الذي لا يكون خادماً لله يصبح متذلاً للأسباب والوسائط، ولا يحقق أهدافه.

5. إن الإمام النورسي رحمه الله يذكر ويحذر في نفس الوقت بأن التوكل الكلي على الله دون استخدام الأسباب يمكن أن يكون عطالة وتواكل وتثبيط للمهم. لهذا فلا ينبغي للمؤمن أن يتجاهل أخذ الأسباب بحكمته ومشيتته تعالى، ويجب أن يحافظ على التوازن بين الاعتماد على الله والاستخدام الحكيم للأسباب والوسائط.

فالنظم عند النورسي أصل أصيل في تفسير القرآن الحكيم عند الإمام النورسي، ذلك أن قاعدة النظم معناها في النهاية استحضر روابط الكلم وعلاقته العقلية التي تنبها في الذهن من أساليب البيان والبديع، تلاؤماً مع حركة التدبر العقلية النسبية التي تمخضت في خلقه الإنسان للتطبيقية في الفهم والتفاوت في الاستنباط: حكمة من الله العلي القدير الذي شاءت مشيئته أن يكون لب المسؤولية والتكليف مبنيين على تينك الخاصيتين، فلا جرم كانت أساليب الخطاب موضوعة ابتداء على التلاؤم معها. فكانت دلالة الإشارة التفسيرية منها. والذي يقول هذا الكلام لا شك أنه علمه وهيباً لديناً من الله العليم الخبير وليس علمًا كسبياً.

الأصل الرابع: ربط معاني القرآن بوظيفة المؤمن الحقيقية في الوجود: يرى الإمام النورسي أن القرآن الكريم يهز هذه الدنيا هزاً عنيفاً، من حيث إنها دنيا حتى يجعلها كالعن المنفوس وذلك في قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: 1-2]، و ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: 1] و ﴿وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مُّسْتُورٍ﴾ [الطور: 1-2] وأمثالها من الآيات الجليلة. (النورسي، 2018:405) وحين فسر الإمام النورسي كلمة ﴿رَبِّ﴾ قال: أي الذي يربي العالم بجميع أجزائه، التي كل منها، كالعالم عالم، وذراته كنجومه متفرقة متحركة بالانتظام. ثم قال: اعلم! أن الله عز وجل عيّن لكل شيء نقطة كمالٍ وأودع فيه ميلاً إليها، كأنه أمره أمراً معنوياً أن يتحرك به إليها، وفي سفره يحتاج إلى ما يُمدّه ودفع ما يَوقه، وذلك بتربيته عز وجل لو تأملت في الكائنات لرأيتهما كبنّي آدم طوائف وقبائل؛ يشتغل كلٌّ منفرداً ومجتمعاً بوظيفته التي عيّن لها صانعُه، ساعياً مُجدِّاً مطيعاً لقانون خالقه، فما أعجب الإنسان كيف يشدّ! (النورسي، 2010:30)

ومقصد الإمام النورسي من حديثه هذا ما يلي:

1. يتحدث الإمام النورسي في هذه الفقرة عن مقصد الخلق والحياة والتحرك، حيث شرح أن الله هو الرب الذي يربي العالم بجميع أجزائه وكياناته، وأنه قد عيّن لكل شيء نقطة كمال وميلاً إليها، وأن الحياة في هذا الكون هي تحرك نحو هذه النقطة الكاملة. وفي نظري هذا سر من أسرار بعث الأنبياء للناس، فقد جعلهم نقطة كمال للمخطين والعاصين، وهم موطن رحلة الحيارى في هذا الكون. وفي نظري فإن هذه الفكرة من ابتكارات العلامة النورسي رحمه الله.

2. أراد الإمام النورسي أن يوصل فكرة تحديد المقصد والهدف في الحياة، وأن الحياة ليست مجرد تحرك بلا هدف ولا توجه ولا غاية، بل هناك نقطة كاملة ومحددة يجب السعي نحوها. ويذكر الإمام النورسي أيضاً أن هذه النقطة الكاملة يجب السعي إليها بتربية النفس والالتزام بقوانين الخالق، وأن عدم السعي نحوها يؤدي إلى الشذوذ والتشتت. وصدق الله العظيم حين قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

الأصل الخامس: الشعر قاعدة أصيلة في التفسير القرآني عند الإمام النورسي: فعند تفسيره لكلمة: ﴿الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] قال رحمه الله: الياء والنون إما: علامة للإعراب فقط كـ "عشرين وثلاثين" أو للجمعية، لأن أجزاء العالم عوالم. أو العالم ليس منحصرًا في المنظومة الشمسية. ثم استشهد ببيت من الشعر، لأبي العراء المعري. (الرازي، 1420:24)

الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمْ لَّهُ مِنْ فَلَكَ --- تَجْرِي النَّجُومُ بِهِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

وأثر جمع العقلاء مثل: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 4] إشارة إلى أن نظر البلاغة يصور كل جزء من أجزاء العالم بصورة حيّ عاقلٍ متكلمٍ بلسان الحال. إذ العالم اسمٌ ما يُعلَّمُ به الصانعُ ويشهدُ عليه ويشير إليه. فالتربية والإعلامُ يُوميان - كالسجود - إلى أنها كالعقلاء. (النورسي، 2010:28)

ومقصد الإمام النورسي من الفقرة السابقة ما يلي:

1. يشير الإمام النورسي في هذه الفقرة إلى فضل الله تعالى على العالم بجميع أجزائه وكياناته، فهو سبحانه يربي العالم بجميع أجزائه ويعين لكل شيء نقطة كمالٍ وأودع فيه ميلاً إليها.
2. يشبه الإمام النورسي أجزاء العالم ببني آدم طوائف وقبائل حيث يشتغل كل واحد منفردين ومجتمعين بوظائفهم التي عبَّها لهم الصانع الحكيم سبحانه.
3. يشير الإمام النورسي إلى أن الياء والنون في كلمة ﴿الْعَالَمِينَ﴾ إما علامة للإعراب فقط أو للجمعية.
4. يشير الإمام النورسي إلى أن نظرة البلاغة تصور كل جزء من أجزاء العالم بصورة حيّ عاقلٍ متكلمٍ بلسان الحال، والتربية والإعلام تشبه السجود وكالعقلاء.

الأصل السادس: التفسير الإشاري أصل لا مفر منه في العملية التفسيرية عند الإمام النورسي: لقد كانت الملكة والوحي والكون أثافي نظرية التفسير الإشاري عند النورسي باعتبارها منهجاً تفسيرياً يتداخل فيه العلم بالعمل، ويتأخى فيه العقل مع الفن، ويتساوق فيه الإيمان مع الوجود. وتأتي كليات القرآن المنبجسة من تجليات الربوبية المطلقة والقدرة السرمدية الإلهية فتتير المشهد على قدر التقاط عين البصيرة لذرات النور المحيطة فيه بالكائنات. من هنا نجد النورسي مولعاً بقواعد ومصطلحات النور مشدود الوجدان إلى قاموسه اللفظي والمعنوي، لأنه صورة رمزية للإشارات والخواطر الربانية. حتى آل به المطاف إلى ترجمة رسائله التفسيرية بما يدل على ذلك أو قطعة منه، كليات رسائل النور. (التركاوي، 2018:3) فحين فسر قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: 3]. اعلم! أن وجه نظم المحصل مع المحصل انصباب مدح القرآن الى مدح المؤمنين وانسجامه به؛ إذ أنه نتيجة له، وبرهان إنِّي عليه، وثمره هدايته، وشاهد عليه. وبسبب تضمن التشويق إشارة إلى جهة حصة هذه الآية من الهداية، وإلى أنها مثال لها. أما وجه "الدين" مع "المتقين" فتشيع التخليية بالتحلية التي هي رفيقتها أبداً؛ إذ التزيين بعد التنزيه، ألا ترى أن التقوى هي التخلي عن السيئات وقد ذكرها القرآن بمراتبها الثلاث، وهي: ترك الشرك، ثم ترك المعاصي، ثم ترك ما سوى الله. والتحلية فعل الحسنات: إما بالقلب، أو بالقالب، أو المال.

فشمس الأعمال القلبية "الإيمان"، والفهرسة الجامعة للأعمال القلبية "الصلاة" التي هي عماد الدين، وقطب الأعمال المالية "الزكاة" اذ هي قنطرة الاسلام. (النورسي، 2010:50)

وباختصار فإن الإمام النورسي يخلص لنا مقاصد التقوى في القرآن الحكيم من خلال الآتي:

1. التقوى تعني باختصار التخلي عن السيئات وعمل الحسنات.

2. القرآن ذكر التقوى بثلاث مراتب: ترك الشرك، ثم ترك المعاصي، ثم ترك ما سوى الله.

3. التحلية هي فعل الحسنات بالقلب أو القالب أو المال.

4. الإيمان هو شمس الأعمال القلبية، والصلاة هي عماد الدين، والزكاة هي قطب الأعمال المالية وقنطرة الإسلام.

الأصل السابع: استخدام أسلوب الفنقلة. ومنها: إن قلت: أرني هذه المقاصد الأربعة في ﴿بسم الله﴾ وفي ﴿الحمد لله﴾. قلت: لما أنزل ﴿بسم الله﴾ لتعليم العباد كان "قُلْ" مقدراً فيه. (النورسي، 2010:24) وهناك مثال آخر: إن قلت: تذييل ﴿الرحمن﴾ الدال على النعم العظيمة بـ ﴿الرحيم﴾ الدال على النعم الدقيقة يكون صنعة التذييل.

والبلاغة في صنعة الترتيب من الأدنى إلى الأعلى؟

قلت: تذييلٌ للتميم كالأهداب للعين واللجام للفرس. (النورسي، 2010:26)

يبدأ بذكر الآية ثم يأتي بمقدمة يدخل من خلالها إلى تفسير تلك الآية. وقد لا يأتي بمقدمة، ولكنها يباشر بذكر معان عدة وأقوال عديدة دون أن ينسبها إلى أهلها دون أن يقوم بعملية الترجيح بين الأقوال.

ومثال آخر: إن قلت: إن في القرآن الموجز المعجز أشياء مكررة تكرر كثيراً في الظاهر كالـبسملة و"فبأي آلاء الخ.." و"ويل يومئذ الخ.." وقصة موسى وأمثالها، مع أن التكرار يُملُّ وينافي البلاغة. قيل لك: "مَا كُلُّ مَا يَتَأَلَّأُ يُحْرِقُ" فإن التكرار قد يُملُّ، لا مطلقاً. بل قد يُستحسن وقد يُسأم. فكما أن في غذاء الإنسان ما هو قوت كلما تكرر حلا وكان أنس، وما هو تفكّه إن تكرر ملٌّ وإن تجدد أُستلذَّ، كذلك في الكلام ما هو حقيقة وقوت وقوة للأفكار وغذاء للأرواح كلما استعيد أُستحسن واستؤنس بمألوفه كضياء الشمس. وفيه ما هو من قبيل الزينة والتفكه، لذته في تجدد صورته وتلون لباسه. (النورسي، 2010:39) وأحياناً يستخدم إن قلت: قد قلت... فيجيب: قيل لك (النورسي، 2010:28) وقد ورد هذا الأسلوب في إشارات الإعجاز فقط حوالي ثلاثين مرة.

إيمانه بالتفسير الجماعي وليس الفردي: كان النورسي يود لو أن القرآن تم تفسيره من قبل هيئة من العلماء لها سمة التخصص والتي نالت على ثقة عالية من الجمهور المسلم، ليكون تفسيرهم استجابة لحاجات القرن ومصدراً يؤول إليه كافة المسلمين على اختلاف طبقاتهم.

الأصل الثامن: لا حدود لفهم أي القرآن الكريم: ويؤكد هذا الفهم وهذه الرؤية التستري، فعند تعليقه على قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف: 109] يعلق أبو محمد التستري بقوله: لو أن عبداً أعطي لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهايته علم الله فيه،

لأنه كلامه القديم، وكلامه صفته، ولا نهاية لصفاته، كما لا نهاية له، وإنما يفهم على قدر ما يفتح الله على قلوب أوليائه من فهم كلامه. (التُسْتَرِي، 1423:169)

وعلى هذا فإنه مما يمكن استنباطه من هذا الكلام ما يلي:

1. فالإمام النورسي أكد على أهمية وقيمة القرآن الكريم وصعوبة فهمه بشكل كامل.
2. كذلك فإن الإمام النورسي يؤمن أن الله هو الذي يفتح على قلوب الأولياء لفهم كلامه.
3. كذلك فإن الإمام النورسي يرى أن القرآن الكريم هو كلام الله وله صفات لا نهاية لها.
4. إن استيعاب وفهم القرآن يستحيل، وعليه فإن العبد لو أعطي كل حرف من القرآن الكريم ألف فهم لم يكن هذا كافياً لفهمه بشكل كامل.
5. إن الفهم الحقيقي للقرآن الكريم يتم عبر قلوب الأولياء الذين حظوا بفضل الله بفهم كلامه.

الأصل التاسع: التركيز على مقاصد القرآن في تفسيره لآيات القرآن الحكيم: يرى أن المقصد الأصلي للقرآن الكريم هو إرشاد الناس إلى مقاصد القرآن الأربعة. فالمقاصد الأساسية من القرآن وعناصره الأربعة: التوحيد والنبوة والحشر والعدالة (النورسي، 2010:24) فهو يرى رحمه الله أن المقاصد الأربعة تتراءى في كل القرآن، وتتجلى في كل سورة سورة منه، بل قد يُلمَحُ بها في كلامٍ كلام، بل قد يُزَمَّرُ لها في كلمة كلمة؛ لأن كل جزء فجزء كالمرة لكل فكل متصاعداً، كما أن الكل يتراءى في جزءٍ فجزءٍ متسلسلاً. (النورسي، 2010:24)

إن قلت: أرني هذه المقاصد الأربعة في ﴿بسم الله﴾ وفي ﴿الحمد لله﴾.

قلت: لما أنزل ﴿بسم الله﴾ لتعليم العباد كان "قُلْ" مقدراً فيه. وهو الأتم في تقدير الأقوال القرآنية. فعلى هذا يكون في ﴿قل﴾ إشارة إلى الرسالة.. وفي ﴿بسم الله﴾ رمز إلى الألوهية.. وفي تقديم الباء تلويحاً إلى التوحيد.. وفي ﴿الرحمن﴾ تلميحاً إلى نظام العدالة والإحسان.. وفي ﴿الرحيم﴾ إيماء إلى الحشر.

وكذلك في ﴿الحمد لله﴾ إشارة إلى الألوهية.. وفي لام الاختصاص رمزاً إلى التوحيد.. وفي ﴿رب العالمين﴾ إيماء إلى العدالة والنبوة أيضاً؛ لأن بالرسول تربية نوع البشر.. وفي ﴿مالك يوم الدين﴾ تصريح بالحشر.

حتى ان صَدَفَ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُؤُؤْرَ﴾ [الكوثر: 1] يتضمن هذه الجواهر. هذا مثالا فانسج على منواله.

حيث تم ذكر الكائنات في القرآن للاستدلال بالصفة الإلهية والنظام البديع على النظام الحقيقي.

فالقرآن ليس كتاب تاريخ أو جغرافيا بل إن الهدف منه هو معرفة الصانع سبحانه وتعالى.

يرى أن وجود المتشابهات في القرآن نعمة كبرى: يرى أن المتشابهات تقبل اختلافات البشر وتطوراتهم، فهي منهج يحوي مراعاة لواقعهم، فالواقع البشري هو مجموعة من الاختلافات العقلية والفناعات المتناقضة. فأى القرآن المتشابه يتنزل على عقول البشر وأذهانهم من أجل أن تستأنس وتفهم مقاصد القرآن. ومهما يكن من أمر، فإن ذكر المتشابه في القرآن الكريم يعد أسلوباً رفيعاً من التمثيل العالي حتى يتم تخيله من قبل العوام. فقولته تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] وقوله تعالى: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54] فالأساليب القرآنية في

أمثال هذه المنازل يراعى فيها الجمهور وقد سماها الإمام النورسي بـ "التنزلات الإلهية الى عقول البشر"، وهذا أسلوب قرآني سامق رفيع يهدف إلى تأنيس العقول والأذهان ومراعاة الأفهام، كمن تكلم مع صبي بما يأنفه ويأنس به. (النورسي، 2010:175) وعليه، فإن الجمهور من الناس يجتنون معلوماتهم عن محسوساتهم ولا ينظرون إلى الحقائق المحضة إلا في مرآة متخيلاتهم ومن جانب مألوفاتهم.. وأيضاً المقصود من الكلام: إفادة المعنى، وهي لا تتم إلا بالتأثير في القلب والحس، وهو لا يحصل إلا باللباس الحقيقة أسلوب مألوف المخاطب وبه يستعد القلب للقبول. (النورسي، 2010:118)

يعرض الإمام العبقري سعيد النورسي شبهة وجود المتشابهات والمشكلات في القرآن الكريم، ويقول لمن يرى ذلك أنه يتعارض مع إعجاز القرآن المبني على البلاغة ووضوح الإفادة.

1. يرد الإمام النورسي على هذه الشبهة بالقول إن القرآن الكريم موجه لجميع الناس، بما في ذلك العوام، والذين يمثلون الغالبية العظمى من المستمعين للقرآن. ولذلك، فإن اللغة المستخدمة في القرآن الكريم تكون بسيطة ومفهومة لهؤلاء العوام، وهذا لا يتعارض مع إعجاز القرآن. ومع ذلك، فإن هذه البساطة في اللغة لا تعني أن القرآن ينقصه الإعجاز، بل على العكس، فهو يحتوي على أسرار وحقائق غامضة تحتاج إلى فهم عميق وتفكير دقيق لاستيعابها. وجمهور العوام لا يجردون أذهانهم عن المألوفات والمتخيلات، فلا يقتدرون على درك الحقائق المجردة والمعقولات الصرفة إلا بمنظار متخيلاتهم وتصويرها بصورة مألوفاتهم.

2. إن المتشابهات التي يراها بعض الناس في القرآن الكريم مشكلة هي في الحقيقة لا تعدو أن تكون مجرد استعارات غامضة لحقائق الكون المعقدة، ولا تتعارض بأي شكل من الأشكال مع إعجاز القرآن الكريم. (النورسي، 2010:175)

نتائج البحث:

تمخض هذا البحث عن النتائج الآتية:

1. إن للتفسير الإشاري في فكر الإمام النورسي ورسائله حضور قوي، بل إنه من أوائل من فطن إلى أهمية هذا العلم في استنطاق الآيات واستخراج المعاني التي تعالج الواقع الاجتماعي.
2. أظهر النورسي أن للقرآن الكريم له منهجان في تبين حقائقه، الأول: تبين الحقائق من خلال المفاهيم والمعاني الصريحة، والثاني: تبين الحقائق والمعاني الإشارية من خلال الأساليب والهيئات. والمقصود بالأساليب والهيئات هو النظم.
3. إن منهج النورسي العام في التفسير غير محدد، وهذا ما تم استقراؤه من خلال رسائل النور، وبالذات في كتابه إشارات الإعجاز، وهو كما هو معلوم- تفسير غير مكتمل، إذ اشتمل على تفسير سورة الفاتحة وثلاث وثلاثين آية من أوائل سورة البقرة. ولعل السبب والله أعلم أنه كتبه وهو يجاهد في سبيل ضد الروس في السنة الأولى من الحرب العالمية الأولى على جبهة القتال بدون مصدر أو مرجع يأوي إليه. وهذا

هو منهج سعيد القديم حيث كان منهجه منحصرًا في الإيجاز والقصر، وكان موجّهًا لنوعية معينة من طلابه الأذكياء فقط. وهذا يفسر لنا بعض أسرار عمق كتابته التي تعبر عن صفاء نيته الخالصة الصادرة عن رجل يجاهد ويتوقع الشهادة في أية لحظة، فكيف تكون عباراته؟

4. هذا اللون من التفسير لم ينسج على منواله أي تفسير، فهو وليد فكر واحد نبت من بنات فكر رجل عبقري أراد أن يستكشف وجوه الإعجاز المكنونة في نظم كتاب الله المجيد، وليس على غرار أي نوع من التفاسير المتداولة والمعروفة بين الناس مثل: تفسير فخر الدين الرازي، وتفسير البيضاوي وتفسير أبي السعود وتفسير الجواهر في تفسير القرآن الكريم لطنطاوي جوهري.

المراجع

1. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (د.م: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت) ج7.
2. النورسي، الشعاعات، ترجمة الخيرات، دار الخيرات للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، اسطنبول، الطبعة الأولى، 2021.
3. النورسي، المثنوي العربي النوري، إعداد الخيرات، دار الخيرات للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، اسطنبول، الطبعة الأولى، 2009.
4. النورسي، الكلمات، ترجمة الخيرات، دار الخيرات للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، اسطنبول، الطبعة الأولى، 2009.
5. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ)، ج30.
6. محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي (المتوفى: 387هـ)، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، د.ت)
7. النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، إعداد الخيرات، دار الخيرات للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، اسطنبول، الطبعة الأولى، 2009.
8. محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ج1.
9. إدريس التركاوي، كليات التفسير الإشاري عند النورسي: الأسس والمقاصد، النور للدراسات الحضارية والفكرية، السنة التاسعة/يناير 2018/ العدد: 17.